﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ [مريم: 98]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

التّذكيرُ بأحوال الأممِ السابقة للاعتبار والاتّعاظ

لَمَّا ذُكِّروا بالعنادِ والمكابرةِ؛ أُتْبِعَ بالتَّحْريضِ بتَهْديدِهم على ذَلِكَ بتَذْكيرِهم بالأُمَمِ الَّتي اسْتَأْصَلَها اللّه لِجَبَروتِها وتَعَنُّتِها؛ لِتَكونَ لَهُم قياسًا ومَثَلًا، فجاءتْ هذه الآية[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿قَرْنٍ﴾: (قرن) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على اجتماع شيئين أو أشياء في معنًى منَ المعاني، ومنه القِرانُ، وهو الحَبْلُ يُقْرَنُ به شَيْئَانِ، والقَرَنُ في الحاجِبَيْنِ؛ إذا التَقَيا، والقَرْنُ: مَثَلُكَ في السِّنِّ، والقَرْنُ: القومُ المُقْتَرِنونَ في زمن واحد، أي: أَهلُ كلِّ زَمانٍ، مأخوذ مِنَ الاقْتِران، فكأَنَّه المِقْدارُ الَّذي يَقْترِنُ فيه أهلُ ذَلِكَ الزَّمانِ في أَعمارهم وأَحوالِهم، فيُعبَّرُ به عنِ الجيل منَ النَّاس، والَّذينَ يأْتون مِنْ بَعْدِهم ذَوو اقْتِرانٍ آخَرَ، فالقرن الجماعةُ أوِ الأُمَّةُ، ويُطْلَقُ على الزَّمانِ الَّذي تَعيشُ فيه الأُمَّةُ، وشاعَ تَقْديرُهُ بمئة سَنَةٍ، وجَمعُ قَرنٍ: قُرونٌ[2].

2) ﴿تُحِسُّ﴾: الحِسُّ هو العلمُ الحاصلُ بالحاسَّةِ، والحاسَّةُ هي القوَّةُ التي بها تُدركُ الأعراضُ الحسيَّةُ، والحواسُّ: المشاعرُ الخمسُ، وهي طرقُ علمٍ مخصوصٍ لكلِّ واحدٍ منها، وأحسَّ الرَّجلُ الشَّيءَ إحساسًا بمعنًى علمَ به، ويتعدَّى بنفسِه مع همزةِ التَّعديةِ، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ [آل عمران: 52]، وربَّما زيدت فيه الباءُ؛ فقيل: أحسَّ به، على معنى: شعر به عن طريق إحدى

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 253، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 177.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (قرن).

الحواسِّ، وذهب بعضُ اللّغويين إلى أنَّ أَصْلَ الإحْساسِ الإبْصارُ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ في الوِجْدانِ والعِلْمِ بِأَيِّ حاسَّةٍ كانَتْ، و﴿تُحِسُّ﴾ في الآيةِ بمعنى: هل تجدُ بحاسَّتك أحدًا منهم، أو بمعنى المعاينة والنَّظرِ، أي: هل رأيتَه، وأبصرتَه؟[1].

3) ﴿رِكْزًا﴾: يدور معنَى الرِّكْزِ على رسوخ الشيء أو أصلِه في أثناء ما يكتنفُه، كقطعة الجوهر في الأرض، والنَّخلةِ في الأرض بعد نقلِها، ففيه معنَى الخفاءِ والاستتار، ومنه الرِّكازُ للمال المدفون؛ لأنَّه مستورٌ مخفيٌّ، ورَكَزَ الرّمحَ؛ إذا غيّبَ طرفَه في الأرض، ورَكَزْتُ كذا، أي: دفنْتُه دفنًا خفيًّا، والرِّكزُ الصّوتُ الخفيُّ دون نطقٍ بحروف، وإنَّما هو صوتُ الحركات، الرِّكزُ هو الصّوتُ الذي حُبِست شدَّتُه، وأُمسِك حتى يَخْفى[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الاعتبارُ بأحوال الأمم السَّابقةِ من الهلاك والاندثارِ

يخبرُ البيان الإلهي في هذه الآية مُعرِّضًا بمشركي قريشٍ، بتهديدِهم على كفرِهم وتكذيبِهم وعنادِهم على الباطل بتذكيرِهم بالأمم التي أهلكها، فيقول: وأهلكنا كثيرًا منَ الأمم الماضية قبل مُشركي قريش؛ إذ كفروا، وكذَّبوا، وعاندوا، فهل تحسُّ أنت منهم أحدًا يا محمَّدُ ﷺ، فتراه، وتعاينُه، أو تسمعُ لهم صوتًا، بل بادوا، وهلكوا، وخلتْ منهم دورُهم، وأوحشت منهم منازلُهم، فكذلك قومُك هؤلاءِ، صائرون إلى ما صار إليه أولئك، إنْ لم يرجعوا إلى التَّوبةِ قبل الهلاكِ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الوصلِ بالواو في الآية:

جاءتِ الآيةُ بالوصل بالواو لتكونَ معطوفةً على قولِه تعالى:

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، والفيومي، المصباح المنير: (حسس).
(2) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/ 347، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ركز).

إنذارُ الكافرين المعاندين بشارةٌ للمؤمنين وإنذار للمشركين

﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾؛ لما بين الجملتين من اشتراكٍ في الجهة الجامعةِ، فإنَّه تعالى لمَّا أخبر عن عنادِ القومِ المشركين وغُلوِّهم في الباطل والمكابرةِ عليه، وأنَّهم مُنذَرون؛ هوَّن الله على النّبيِّ ﷺ خصامَهم وعنادَهم في هذه الآية، فإنَّ في إنذارِهم بشارةً للمُؤمِنين باقترابِ إراحتِهم من ضُرِّهم، وتنبيهٌ للمشركين إلى ما هم صائرون إليه إنِ استمرّوا على عنادِهم.

معنى ﴿وَكَمْ﴾:

سنّةُ الإهلاك جرتْ على كثيرٍ منَ الأممِ السَّابقةِ

﴿وَكَمْ﴾ هنا خبريَّةٌ يُكنَّى بها عنِ العددِ الكثير؛ لتفيدَ تكثيرَ الأفرادِ والفعلِ لما دخلت عليه، وبهذا فارقت لفظ (كثير) في الاستعمال؛ لأنَّ لفظَ (كثير) يستعملُ في الأفراد فقط، فلمَّا قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾؛ أفاد تكثيرَ الأمم المُهلكَةِ وتكثيرَ فعلِ الإهلاكِ صراحةً لا ضمنًا، والمعنى: (وكثيرًا أهلكنا قبل هؤلاء من قرنٍ لمخالفتِهم أنبياءَهم وعنادِهم لهم).

فائدةُ تقديمِ مفعولِ ﴿أَهْلَكْنَا﴾:

توجيهُ أذهانِ السَّامعين إلى كثرةِ الإهلاكِ وتكرُّرِه

تقدَّم المفعولُ به ﴿وَكَمْ﴾ على الفعل ﴿أَهْلَكْنَا﴾؛ لأنَّ ﴿وَكَمْ﴾ لها الصَّدارةُ في الكلام، وهو مع كونِه على الأصلِ من وجوب تقديم ما له الصَّدارةُ في الكلام، لكنَّه لا يخلو من فائدةٍ بلاغيَّةٍ، وهي توجيهُ أذهانِ السَّامعين من أوَّل الخبرِ إلى كثرة ما وقعَ عليه فعلُ الإهلاكِ، وكثرةِ الإهلاكِ وتكرُّرِه، فالنَّظرُ إلى كثرةِ الفعلِ الذي يفيد تكرُّره، وليس إلى أصلِ وقوعِ الفعلِ فقط.

بلاغةُ الإخبارِ بلازمِ فائدةِ الخبرِ في الآية:

من سارَ على منهجِ الأممِ الهالكةِ لقيَ المصيرَ نفسَه

في قولِه تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾؛ ليس المرادُ مجرّد الإعلام بأخبار الأمم الماضية؛ لأنَّ المخاطَبين كانوا على علمٍ بهلاكِها، ولأنَّ آثارَ بعضِ ديارِهم باقيةٌ، بلِ المرادُ لازمُ الفائدة، وهو تخويفُ الكافرين المكذِّبين المعاندين، وإنذارُهم والاعتبارُ بهم

ليتركوا الكفرَ والجدالَ بالباطلِ، والإيذانُ بأنَّهم إنِ استمرّوا على فعلِهم، فسيكونُ حالُهم مثلَ حالِ الذين أهلكهم اللّه من قبلِهم[1].

نُكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿أَهْلَكْنَا﴾:

الإهلاكُ هو العذابُ على معنَى الاستئصالِ

لمَّا كان الإهلاكُ يفيدُ أمرًا واحدًا، أي: استئصالَ المُهلَكين وفناءَهم، وكانَ العذابُ الذي هو الإيجاعُ والأذَى على أنواع، وقد ينتهي العذابُ بالكشفِ عنِ المعذَّب ورفعِه عنه؛ كان التَّعبيرُ بـ﴿أَهْلَكْنَا﴾ هنا على معنَى الاستئصالِ بالعذاب[2] أنسبَ للمقام وأقضى لحقِّ البلاغةِ، وذهب الفخرُ الرَّازي إلى أنَّ الإهلاكَ هنا بمعنى الانقراضِ بالموتِ[3]، ليكونَ التَّعبيرُ بالإهلاكِ من باب الوعيدِ لمشركي مكَّةَ المعاندين، ومن كان مثلَهم بأنَّهم ميّتون زائلون، فحالُهم مثلُ حالِ الذين قد خلَتْ منهم دورُهم، وأوحشت منهم منازلُهم، وصاروا إلى دارٍ لا ينفعُهم فيها إلَّا صالحُ من عملٍ قدَّموه؛ ليعتبروا، ويتَّعظوا بهلاكِ من كان قبْلَهم، ولم يَعدَّ الرَّاغبُ الإهلاكَ هنا منَ المواضع التي وردت فيها مادَّةُ (هلك) بمعنَى الموت، ويؤيِّدُه السّياقُ؛ إذ هو في مقام الوعيدِ والتَّخويفِ والإنذارِ للمكذِّبين المعاندين[4].

دلالةُ الإسنادِ في ﴿أَهْلَكْنَا﴾:

أُسندَ الفعلُ إلى ضمير العظمةِ للإيذانِ بهولِ الهلاكِ وعظمتِه، وأنَّه لا يقدرُ عليه إلَّا اللّه الملكُ الواحدُ الأحدُ، ونسبةُ الأمرِ إلى العظيمِ يدلُّ على عظمتِه.

فائدةُ مجيءِ الظَّرفِ منصوبًا في قولِه: ﴿قَبْلَهُم﴾:

جُرّدَ الظّرفُ عن حرفِ الجرِّ لإفادةِ التَّعميم، فلمَّا كان المرادُ

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 48، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 305.
(2) بو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 10/ 249، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 305، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 284.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21/ 568.
(4) الراغب، المفردات: (هلك)، والزمخشري، الكشاف: 3/ 48.

من الخبرِ التَّعميمَ في إهلاكِ اللّه تعالى لكلِّ الأمم الماضيةِ المكذِّبةِ المعاندةِ من غيرِ تعيينٍ لوقتٍ معيَّنٍ؛ أُثبت الظّرفُ مجرَّدًا عن حرف الجرِّ (مِن)[1].

دلالة الضَّمير في قولِه: ﴿قَبْلَهُم﴾:

النّكرةُ الموصوفةُ لها حكمُ المعرفةِ

يعودُ الضَّميرُ على ﴿قَوْمًا لُّدًّا﴾[2]، فيكونُ الضَّميرُ عائدًا على اسمٍ نكرةٍ، أي: ﴿قَوْمًا﴾، وهو في حكمِ المعرفةِ بما اتَّصف به منَ الوصف في قولِه: ﴿لُّدًّا﴾، وبسبب مقابلتِه للمتَّقين؛ ولأنَّ المقصود معلومٌ بدلالة الواقعِ كما تقدَّمَ.

فائدةُ تقديمِ الظَّرفِ على تمييز ﴿وَكَمْ﴾:

قُربُ إهلاكِ المكذِّبين إن استمرّوا على شركِهم وعنادِهم

قُدِّمَ ظرفُ الزَّمان ﴿قَبْلَهُم﴾ على تمييز ﴿وَكَمْ﴾ الخبريةِ ﴿مِّن قَرْنٍ﴾؛ لتنبيه المشركين المعاندين إلى زمن إهلاكِ الأمم السَّابقةِ، بوصفِ القبْليَّةِ، ولمَّا كان لفظُ ﴿وَكَمْ﴾ يفيدُ تكثيرَ إهلاكِ الأمم السَّابقةِ المستلزمِ إهلاكَ الأمَّة المكذِّبةِ، ومن جاء بعدَها منَ الأمم المعاندةِ؛ كان التَّعبيرُ بلفظِ ﴿قَبْلَهُم﴾ للتَّنبيه على قربِ إهلاكِهم إنِ استمرّوا على شركِهم وعنادِهم.

سِرُّ مجيءِ تمييزِ ﴿وَكَمْ﴾ مفردًا:

تنوُّع مناسباتِ مجيءِ التَّمييزِ مفردًا

لمَّا قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾؛ جاء ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ مميَّزًا لـ﴿وَكَمْ﴾، فكانت ﴿مِّن﴾ بيانيَّةً[3]، وكان التمييزُ ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ مفردًا؛ للإشعارِ بأنَّ كثرةَ الإهلاكِ كانت في كلِّ قرنٍ واحدًا واحدًا وليس على المجموعِ، أي: ليست كثرةُ الإهلاكِ بالنَّظر لمجموعِ القرونِ بل هو كثيرٌ في كلِّ قرنٍ، ففيه مبالغةٌ في التَّخويفِ والتَّرهيبِ، وفي إفرادِ التَّمييزِ مناسبةٌ لِلإفراد في قوله: ﴿مِّنْ أَحَدٍ﴾، وفائدةُ التَّمييزِ في الكلام

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 12/ 253.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 305.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 178.

هي توخّي التَّفصيل بعد الإجمالِ الذي تضمَّنَه لفظُ ﴿وَكَمْ﴾ لتقرير المعنَى وتأكيدِه، فهو نوعٌ منَ الإطناب لمزيدِ الإيضاحِ والبيانِ[1].

نُكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿قَرْنٍ﴾ وتنكيره:

لم يقل: (وكم أهلكنا قبْلَهم من أمَّةٍ)؛ لأنَّ لفظَ القرنِ مُشعرٌ بالقوَّة[2] لامتدادِ الزَّمن بهم، وهو المناسبُ هنا لوعيدِ القومِ اللُّدِّ المعاندين بالباطل المغرورين بقوَّتِهم، أي: كانوا أشدَّ منهم قوَّةً، وأكثرَ وأوثقَ عدَّةً، فلم يبقَ إلَّا سماعُ أخبارِهم، ومشاهدةُ آثارِهم[3]، ويفيدُ التَّنكيرُ هنا التَّكثيرَ المناسبَ لدلالة ﴿وَكَمْ﴾ على التَّكثيرِ، والمعنى: (قرنًا كثيرًا)[4].

الله تعالى لا يُعجزه إهلاكُ الأممِ المغترَّةِ بقوَّتِها الكثيرِ عددُها

بلاغةُ الفصل في قولِه: ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾:

لَمَّا كانت جملةُ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ خبرًا عن هلاكِ كثيرٍ من الأمم الماضيةِ؛ جاءت جملةُ ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ على الفصلِ لتفيدَ تأكيدَ مضمونِ ما قبْلها وتقريرَه بطريق الوِجدانِ والإحساسِ، فيكونَ أكثرَ إقرارًا وإذعانًا، والمعنى: (لا تحسُّ منهم من أحدٍ، ولا تسمعُ لهم صوتًا خفيًّا)، كما تضمَّنتِ الجملةُ التي جاءت على طريق الفصل معنَى الدّليلِ والحجَّة للجملة التي سبقتْها؛ لأنَّ الرَّسولَ ﷺ إذا لم يُحِسَّ منهم أحدًا برؤيةٍ أو إدراكٍ أو وِجدانٍ، ولا يسمعُ لهم ركزًا - وهو الصَّوتُ الخَفيُّ - دَلَّ ذلك على انقراضِهم وفنائِهم بالكُلِّيَّة[5].

تأكيدُ المعنى بطريق الوِجدانِ والإحساسِ أبلغُ في تقريرِ المعنى والإذعانِ له

بلاغةُ الاستفهامِ في قولِه: ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾:

الاستفهامُ هنا بمعنى النَّفي[6]؛ ليفيدَ تقريرَ الأمر، أي: لا تحسُّ

الاستفهامُ بمعنى النَّفي لتقريرِ نفي الإحساسِ بالقومِ المُهْلَكين

(1) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 284.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 279.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 254.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 284.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21/ 568، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 248.
(6) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 7/ 265، والراغب، المفردات: (هل)، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 305، وإسماعيل حقي، روح البيان: 5/ 360، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 459.

منهم من أَحَدٍ، ولم يقل: (لا تُحِسُّ) بالنَّفي الصَّريح؛ لِما يدلُّ عليه الاستفهامُ من تقليبِ النَّظر المستلزمِ لِلاعتبار المناسب للاتِّعاظِ بما حصلَ للقومِ السَّابقين، وإنَّما قلنا: هو بمعنى النَّفي وليس استفهامًا إنكاريًّا، كما ذهبَ إليه بعضُ المفسِّرين[1]؛ لأنَّ الاستفهامَ جاء لتقرير حقيقةِ إهلاكِ الله للأمم الظَّالمةِ السَّابقةِ من دون أن يدّعي المخاطَبُ، وهو الرَّسولُ ﷺ الإثباتَ، أو أن يكونَ له موقفٌ يخالفُ ما يُخبِر به اللهُ تعالى، بل لا يوجد أحدٌ يدّعي أنَّ عادًا وثمودَ وأصحابَ الأيكة وقومَ لوطٍ لهم أثرٌ ممتدٌّ إلى عصرِ الرِّسالةِ، ويمكنُ حملُ كلام المفسِّرين الذين ذهبوا إلى أنَّ الاستفهامَ إنكاريٌّ على الإنكار الوقوعيِّ[2] لا الإبطاليِّ ولا التَّوبيخيِّ، بمعنى إنكارِ وقوع الشُّعورِ بأحدٍ منهم، ليفيدَ المبالغةَ في النَّفي، ولا يستلزمُ أن يكون المخاطَبُ مدَّعيًا خلافَه.

دلالةُ الخطابِ في قولِه: ﴿تُحِسُّ﴾ و﴿تَسْمَعُ﴾:

الأصلُ في الخطاب أن يكونَ مع معيَّنٍ، وجاء هنا لخصوص النبي ﷺ ويدخل فيه عموم المخاطبين، تَبَعًا لِقَوْلِه تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ وقولِه: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾، ونُكتةُ التَّعبيرِ بخطاب المفرد تصويرُ حالةِ النَّفي لكلِّ من يتأتَّى منه الإحساسُ والسَّمعُ، فهو أبلغُ في الإقرارِ والإذعانِ والتَّسليم.

تصويرُ حالةِ نفي الإحساسِ بالمُهلَكين لكلِّ من يتأتَّى منه الإحساسُ أبلغُ في الإذعانِ والتَّسليم

بلاغةُ المجازِ في قولِه: ﴿تُحِسُّ﴾:

لَمَّا تعدّى الفعل ﴿تُحِسُّ﴾ إلى المفعولِ ﴿مِّنْ أَحَدٍ﴾، وكان الأظهرُ في نفي الشُّعور بهم هو رؤيةُ العين؛ كان المعنى: (هل ترى منهم من أحدٍ؟) ليفيدَ نفيَ المعاينةِ والرُّؤية، فيكونَ التَّعبيرُ بالحسِّ عن حاسَّة العين من ذكر الكلِّ وإرادةِ الجزء للمبالغةِ في نفي الشُّعورِ بكلِّ الحواسِّ، وأهمُّها وأوثقُها حاسَّةُ العين التي بها تكونُ الرّؤيةُ.

أهمُّ الحواسِّ وأوثقُها حاسَّةُ العين التي بها تكونُ الرّؤيةُ

(1) سليمان الجمل، حاشية على الجلالين: 3/ 81، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 178.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 121/ 304.

نُكتةُ التّعبيرِ بلفظِ ﴿تُحِسُّ﴾:

التَّعبيرُ بالحِسِّ دونَ الوِجدانِ لاقتضاءِ المقامِ

عُبّرَ بالحسِّ في قولِه: ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾ للإيذانِ بنفيِ الشُّعورِ بهم وإدراكِهم بأيِّ حاسَّةٍ من الحواسِّ، ولم يقل: (فهل تجدُ؟)؛ لأنَّ المقامَ للحضورِ الحسّي، وهو إهلاكُ القرونِ السَّابقةِ، ويدلُّ على الإهلاكِ آثارُهم وبقايا بيوتِهم، كما أنَّ الرِّكزَ لايكونُ إلَّا في المحسوساتِ، والوِجدانُ قد يتعلَّقُ بالمحسوساتِ، وقد يتعلَّقُ بالمعاني، كما أنَّ الوجدانَ يكونُ للعلمِ المتيقَّنِ، والحسُّ يكونُ لأدنى أثارةٍ من علمٍ، ليكونَ التَّعبيرُ أبلغَ في نفيِ الشُّعورِ بأيِّ واحدٍ منهم.

نُكتةُ تقديمِ شبهِ الجملةِ ﴿مِنْهُم﴾:

لَمَّا تقدَّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿مِنْهُم﴾ على المفعولِ ﴿مِّنْ أَحَدٍ﴾؛ كان على معنَى الحالِ، أي: هل ترى حالَ كونِ الإهلاكِ منهم أيَّ أحدٍ، ليفيدَ التَّقديمُ زيادةَ تقريرٍ لنفيِ رؤيتِهم.

معنى ﴿مِّنْ﴾، ونُكتةُ تنكيرِ ﴿أَحَدٍ﴾:

الجرّ والتنكير أفادا تأكيد نفي رؤية المصير

حرفُ الجرِّ ﴿مِّنْ﴾ في قولِه: ﴿مِّنْ أَحَدٍ﴾ زائدٌ للتَّوكيدِ، ليفيدَ النَّصَّ على استغراقِ العُمومِ لكلِّ أحدٍ، وهو الأنسبُ لمعنى استئصالِهم جميعًا، وقد جاء اللّفظُ ﴿أَحَدٍ﴾ نكرةً ليفيدَ العمومَ، بمعنى نفيِ رؤيةِ أيِّ واحدٍ منهم.

معنى ﴿أَوْ﴾:

تفيدُ ﴿أَوْ﴾ التَّرديدَ بين الأمرَين على معنى منعِ الخُلوِّ، ولَمَّا عطفَ السَّمعَ على الحسِّ؛ تأيَّدَ أن يكونَ ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾ بمعنَى هل ترى؟

نُكتةُ تقديمِ شبهِ الجملةِ ﴿لَهُمْ﴾:

لَمَّا تقدَّمَ الجارُّ والمجرورُ على ﴿رِكْزًا﴾؛ كان على معنى الحالِ، ليفيدَ التَّقديمُ زيادةَ تقريرٍ للنَّفيِ، اللَّام في: ﴿لَهُمْ﴾ للاختصاصِ، بمعنى أن يكونَ الرِّكزُ منسوبًا إليهم مختصًّا بهم.

نُكتةُ التّعبيرِ بلفظِ ﴿رِكۡزًا﴾:

التَّعبيرُ بالرِّكز أنسبُ بالمقامِ

عُبِّر بلفظِ ﴿رِكۡزًا﴾ دون الهمسِ أو أيِّ لفظٍ يدلُّ على صوتٍ خفيٍّ؛ لأنَّ الرِّكزَ في الأصل لِما يكونُ مستورًا مخفيًّا، ومنه الرِّكازُ للمال المدفون، ولمَّا كان الكلامُ في سماعِ أصواتِ القومِ المهلَكين، والذين دُفِنوا، وقُبِروا؛ كان التَّعبيرُ بالرِّكز أولى وأنسبَ بالمقام؛ لأنَّ الرِّكز صوتٌ خفيٌّ ينطلقُ من داخل الأرضِ أو من عمقٍ، كأنْ يكونَ في بئرٍ أو قَبوٍ، فالتَّعبيرُ عن صوتِ مَنْ يكونُ في القبرِ، إنْ عبِّرَ عنه يكونُ بلفظِ الرِّكزِ، وليس بلفظِ الهمسِ، وأفاد مجيء ﴿رِكۡزًا﴾ منكرًا: العمومَ، لمجيئه في سياق النَّفي، وفائدتُه نفيُ سماعِ أيِّ صوتٍ خفيٍّ.

بلاغةُ الكنايةِ في الآية:

مِن انتهى لازمُ وجودِه انتهى وجودُه

نجدُ في قولِه تعالى: ﴿هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزًا﴾ أنَّ نفيَ رؤيتهم وسماع صوتِهم الخفيِّ كِنايَةٌ عَنِ اضْمِحْلالِهم، كُنِّيَ بِاضْمِحْلالِ لَوازِمِ الوُجودِ عَنِ اضْمِحْلالِ وجودِهم[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القرن والقوم:

اختلافُ القرنِ عنِ القومِ بملاحظةِ الاقتران الزَّمني والاعتدادِ في لفظِ القرنِ

القرن اسْمٌ يَقع على من يكونُ منَ النَّاس في عصرٍ مُقترنين فيه، ويفيدُ معنى القوَّة والاعتدادِ، فيكونُ معنى الزَّمن ملحوظًا لمعنى الجيلِ منَ النَّاس، والقَوْمُ همُ الرِّجالُ الَّذين يقوم بَعضُهم مع بعضٍ في الأُمور ولا يَقعُ على النِّساء إلَّا على وجه التّبعِ، ولا يُلحظُ في القوم معنى الاقتران في الزَّمن ولا الاعتدادِ[2].

الرِّكز والهَمس:

الهمسُ: الصّوتُ الخفيُّ، والأصلُ فيه أن توصفَ به الأقدامُ، وهَمسُ الأقدام أخفى ما يكونُ من صوتِ وطئِها على الأرضِ، ثمَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 178.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 280.

أطلقَ الهمسُ على ما يُسَرُّ منَ الكلام، ويُخفى، ويطلقُ الهمسُ على صوتِ مضَغِ الطَّعام، والفمُ منضمٌّ، فالهمسُ حِسُّ الصَّوْتِ في الفَم مِمَّا لا إِشْرابَ لَهُ مِنْ صَوْتِ الصَّدْرِ ولا جهارَةَ في المَنْطِقِ، ولَكِنَّهُ كَلامٌ مَهْموس في الفَم كالسِّرِّ، وأمَّا الرِّكز؛ فهو الصَّوتُ الخفيُّ الذي يكونُ من عمقٍ كبئرٍ أَو غيرِه بحيث لا يكادُ يُسمَعُ لاستتاره[1].

الهمسُ صوتٌ خفيٌّ في الفمِ، والرِّكزُ صوتٌ خفيٌّ يكونُ من عُمقٍ كبئرٍ ونحوِه بحيث لا يكادُ يُسمَعُ لاستتاره

(1) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (ركز، همس).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»